



حكايتي مع الأشرفية

مع صدور هذا العدد من "مرايا الزهرة" نكون قد باشرنا العمل على مشروع المدرسة السنوي لهذا العام والذي سيحمل العنوان التالي :

"الأشرفية ... نللم ذكرياتها كي تبقى حضارة في البال"

الأشرفية ... هذه الأشرفية التي جننتها غريبة عن أحيائها وعن ناسها بتقاليدهم وأعرافهم. فأنا ابنة الجنوب المتأهلة من ابن المتن، عشت حياتي الجامعية في رأس بيروت في محيط الجامعة الأميركية حيث أكثر الأهل والأصدقاء . وشاءت الظروف والأقدار أن أدخل الأشرفية من باب مدرسة زهرة الإحسان التي تمثل مجتمعا مصغرا عن الأشرفية بكل ما تحمل الكلمة من معنى. هذه الأشرفية ... التي ما إن أمضيت فترة قصيرة فيها حتى شعرت وكأنني أعيش في ضيعة ذات طابع مميز. تحمل من الضيعة تقارب أهلها من بعضهم البعض، وتمسكهم بالكثير من العادات والتقاليد العريقة... وتحمل من المدينة انفتاح أهلها على كل جديد... مع تنوعهم الثقافي والحضاري وميلهم بشكل خاص الى الثقافة الفرنكوفونية.

الغربة كانت رفيقتي في بادئ الأمر... لكن هذا الشعور بالغربة اختفى شيئا فشيئا إذ أن انتمائي الى هذه البقعة المميزة من لبنان بدأ ينمو مع الأيام، فما يربطني بها عميق وكثير وكثير: حبي وتعلقي بالأصالة وبالحفاظ على الهوية مع تطلعي الدائم الى الاستزادة علما وثقافة من الأجواء التي يعيشها المرء بين أناس الأشرفية... وبصدق أقولها أحببت الأجواء التي عشتها والناس الذين تعرفت عليهم. وشعرت باعتزاز الإنتماء الى هذه المنطقة من خلال إنتمائي الى مدرسة زهرة الإحسان... فكانت الوجوه نفسها تطالعني كل صباح في طريقي الى المدرسة وأنا أمر بين البيوتات العتيقة العريقة ذات الطابع الأثري التي تتدلى أغصان الياسمين على

تتدلى أغصان الياسمين على جدرانها... الى أن بدأت وجوه الصباح التي اعتدت رؤية ميسمها وبساطة نظراتها ... بدأت تغيب ... وأخذت البيوت الجميلة تنسلّ أمام هجوم ناطحات السحاب... لماذا؟... وارتسم السؤال في رأسي وفي أذهان الكثيرين ممن كنت أصادف... وشعرنا جميعنا أن حقبة حضارية بدأت تتدنثر وتتلاشى لأنه غداً عندما سيحاول الجيل الجديد أن يستطلع أرض الأجداد فلن يرى سوى ناطحات سحاب ومجمعات تجاريّة ووجوه لا تشبه وجوه الأجداد... لا تشبه شيئاً... .

من هنا انطلقت فكرتنا "الأشرفية ... نلملم نكرياتها كي تبقى حضارة في البال"، في محاولة لإستكشاف معالمها استناداً الى وثائق وصور وشهادات حيّة، علّنا نساهم ولو قليلاً في إحياء هذا التراث ونحمل أولادنا على تثمينه عبر مشاركتهم في البحث عما عاشه أبائهم وأجدادهم. إنها عملية انخراط إنساني في زمن لم يعرفوه لكنّ بصماته لا تزال ماثلة في بعض الزوايا تشهد على أصالة من كانوا وما فعلوا.

هل ما نحاول إحياءه هو عودة الماضي أم عودة الى الماضي؟

لا هذه ولا تلك ! إنه الحنين الى الزمن الدافئ الجميل وانحناءة إجلال أمام العريق

والأصيل.

بيروت في 2011/11/24
هالة بيوض اسكاف